

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: الحديث اليوم عن الصحابي الجليل عمير بن سعد، ولنتابع مع الشيخ محمد راتب النابلسي.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، سيدنا عمير بن سعد صحابي جليل، حينما كان غلاماً تجرّع كأس اليتم والفاقة منذ نعومة أظفاره، فقد مضى أبوه إلى ربه دون أن يترك له مالاً أو معيلاً، لكن أمّه ما ليست من أن تزوجت من ثريٍ من أثرياء الأوس، يدعى الجلاس بن سويد، فكفل ابنها عميراً وضمه إليه، وقد لقي عميراً من برّ الجلاس وحسن رعايته وجميل عطفه ما جعله ينسى أنه يتيم، فأحب عميراً الجلاس حب الابن لأبيه، كما أولع الجلاس بعميراً ولع الوالد بولده، وكان كلما نما عميراً وشب يزداد الجلاس له حباً وبه إعجاباً، لما كان يرى فيه من أمارت الفطنة والنجدية التي تبدو على كل عملٍ من أعماله، وشمائل الأمانة والصدق التي تظهر في كل تصرفٍ من تصرفاته.

وقد أسلم عميراً وهو صغيرٌ لم يتجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً، فوجد الإيمان في قلبه الغض مكاناً خالياً فتمكن منه، وألفى الإسلام في نفسه الصافية الشفافة تربة خصبة فتغلغل في ثياتها، فكان على حداثة سنّه لا يتأخر عن صلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت أمّه تغمرها الفرحة كلما رأته ذاهباً إلى المسجد أو ظاهراً منه تارتاً مع زوجها وتارة وحده. أ. جمال: أستاذ راتب أذكر أن في حياة هذا الغلام حدثاً جعله يتألق في سماء البطولة، حذا لو أن نلقي الضوء أكثر.

أ. راتب: الأخ جمال، في السنة التاسعة للهجرة، أُعلنَ الرسول صلوات الله عليه عزمه على غزو الروم في تبوك، وأمر المسلمين أن يستعدوا ويتجهزوا لذلك، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يغزو غزواً لم يصرّح بها، وأوّلهم أنه يريد جهةً غير الجهة التي يقصد إليها، إلا في غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وعظم المشقة وقوّة العدو ليكون الناس على بيّنةٍ من أمرهم، فأخذوا للأمر أهْبته، ويعدوه عدوه، وعلى الرغم من أن الصيف كان قد دخل والحر قد اشتد، والثمار قد أينعت، والظلل قد طابت، والنفس قد ركنت إلى التراخي والتکاسل، على الرغم من ذلك كله فقد لبى المسلمون دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأخذوا يتجهزون ويستعدون. وفي يوم من هذه الأيام التي سبقت رحيل الجيش، عاد الغلام عميراً بن سعد إلى بيته بعد أداء الصلاة في المسجد، وقد امتلأت نفسه بطائفة مشرقةٍ من صور بذل المسلمين وتضحیتهم، رأها

بعينه وسمعها بأذنيه، فقد رأى نساء المهاجرين والأنصار يقبلن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزعن حليهن ويلقونه بين يديه ليجهز بثمنه الجيش الغازي في سبيل الله، وأبصر بعيني رأسه عثمان بن عفان رضي الله عنه يأتي بجراب فيه ألف دينار ذهباً ويقدمه للنبي عليه الصلاة والسلام، وشهد عبد الرحمن بن عوف يحمل على عاتقه مئتي أوقية من الذهب ويلقيها بين يدي النبي الكريم، بل إنه رأى رجلاً يعرض فراشه للبيع ليشتري بثمنه سيفاً يقاتل به في سبيل الله. فأخذ عميرٌ يستعيد هذه الصورة الفذة الرائعة، ويعجب من تباطؤ الجلاس عمه عن الاستعداد للرحل مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، والتأخر عن البذل على الرغم من قدرته ويساره، وكأنما أراد عميرٌ أن يستثير همة الجلاس، ويبعث الحمية في نفسه، فأخذ يقصّ عليه أخبار ما سمع وما رأى، وبخاصّة خبر أولئك النفر من المؤمنين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألوه في لوعةٍ أن يضمّهم إلى الجيش الغازي في سبيل الله، فردّهم النبي عليه الصلاة والسلام لأنّه لم يجد من الركائب ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تقىض من الدمع حزناً لا يجدوا ما يبلغهم أمنيتهم في الجهاد، ويحقق لهم أشواقهم إلى الاستشهاد.

لكن الجلاس وهنا بيت القصيد، ما كاد يسمع من عمير ما سمع حتى انطلقت من فمه كلمةُ أطّارت صواب الفتى المؤمن، ماذا قال الجلاس؟ قال: إن كان محمداً صادقاً فيما يدعى من النبوة فحن شرٌّ من الحمير، الحقيقة هذه الكلمة الكفر، لقد شدّه عمير مما سمع، صعق، فما كان يظن أن رجلاً له عقل الجلاس وسنّه تمدّ من فمه هذه الكلمة، التي تخرج صاحبها من الإيمان دفعة واحدة، وتتدخله في الكفر من أوسع أبوابه، وكما تطلق الآلات الحاسبة الدقيقة في حساب ما يلقى إليها من المسائل، إنطلق عقل الفتى عمير بن سعد يفكّر فيما يجب عليه أن يصنعه، لقد رأى أن في السكوت عن الجلاس والتستر عليه خيانة الله ورسوله، وإضراراً بالإسلام والمسلمين الذي يكيد له المنافقون ويأتمرون به، وأن في إذاعة ما سمعه عقوقاً بالرجل الذي ينزل من نفسه منزلة الوالد، ومجازاة لإنسانه إليه بالإساءة له، فهو الذي أواه من يتم، وأغناه من فقرٍ، وعوضه من فقد أبيه، وكان على الفتى أن يختار بين أمرين أحلاهما مرّ، وسرعان ما اختار، ما الذي اختاره؟

إلتقت إلى الجلاس وقال: والله يا جلاس ما كان على ظهر الأرض أحدٌ بعد محمد بن عبد الله أحب إليّ منك، (دقق في كلمة ما كان) فأنـت آسر الناس عنـدي، وأجلـهم يـداً عـلـيـ، ولـقد قـلـت مـقالـةً إنـ ذـكـرـتها فـضـحـتكـ، وإنـ أـخـفـيـتها خـنـتـ أـمـانـتـيـ وـأـهـلـكـ نـفـسـيـ وـدـيـنـيـ، وـقـدـ عـزـمـتـ عـلـىـ أـمـضـيـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـأـخـبـرـهـ بـمـاـ قـلـتـ، فـكـنـ عـلـىـ بـيـنـةـ مـنـ أـمـرـكـ.

مضى الفتى عمير بن سعد إلى المسجد وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بما سمع من الجلاس بن سويد، فاستيقاه النبي صلوات الله عليه، وأرسل أحد أصحابه ليدعو له الجلاس، وما هو إلا قليلٌ حتى جاء الجلاس فحيى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا جلاس ما مقالة سمعها منك عمير بن سعد، وذكر له ما قال))

قال كذب علي يا رسول الله وافتري، فما تقوّت بشيءٍ من ذلك، وأخذ الصحابة يُنَقَّلُونَ أبصارهم بين الجلاس وفتاه عمير بن سعد، كأنهم يريدون أن يقرأوا على صفتني وجهيما، ما يكُنه صدرهما، يجعلوا يتهماسون، فقال واحدٌ من الذين في قلوبهم مرضٌ: فتى عاق، أبا إلا أن يسيء إلى من أحسن إليه، وقال آخرون: بل إنه غلام نشأ في طاعة الله، وإن قسمات وجهه لتنطق بصدقه.

والتفت النبي صلوات الله عليه إلى عمير فرأى وجهه قد إحتقن بالدم، والدموع تتحدر مدراراً من عينيه، فتساقط على خديه وصدره، وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، فانبرى الجلاس وقال: إنما ذكرته لك يا رسول الله هو الحق، وإن شئت تحالفنا بين يديك، وإن أخلف باهله أني ما قلت شيئاً مما نقله لك عمير، فما إن انتهى من حلفه، وأخذت عيون الناس تنتقل عنه إلى عمير بن سعد، حتى غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة، فعرف الصحابة أنه الوحي، فلزموه أماكنهم، وسكنت جوارهم ولاذوا بالصمت وتعلقت أبصارهم بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهنا ظهر الخوف والوجل على الجلاس، وبدى التلهُّف والتshawُّف على عمير، وظل الجميع كذلك حتى سُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَتَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَيْكُمْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوَلُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾

(سورة التوبة: آية ٧٤)

إرتعد الجلاس من هول ما سمع، وكاد ينعقد لسانه من الجزع، ثم إلتفت إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: بل أتوب يا رسول الله، بل أتوب، صدق عمير يا رسول الله و كنت من الكاذبين، إسأل الله أن يقبل توبتي، جعلت فداك يا رسول الله، وهذا توجه النبي عليه الصلاة والسلام إلى الفتى عمير بن سعد، فإذا دموع الفرح تبل وجهه المشرق بنور الإيمان، فمد النبي عليه الصلاة والسلام يده الشريفة إلى أذنه وأمسكها برفق وقال: وفت أذنك يا غلام ما سمعت وصدق ربك، وعاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحسن إسلامه.

أ. جمال: السؤال الآن فضيلة الشيخ: كيف كانت علاقة الجلاس مع عمير بعد هذه الحادثة المشهودة؟

أ.راتب: لقد عرف الصحابة صلاح حاله مما كان يغدوه على عمير من بر، وقد كان يقول كلما ذكر عمير: جزاكم الله عني خيراً، فقد أفذني من الكفر.

أ. جمال: فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي نقول: رحم الله الصحابي الجليل عمير بن سعد، لقاؤنا غداً إن شاء الله في حلقة جديدة من برنامج صور من حياة الصحابة، نشكركم، أهلاً بكم ومرحباً.

والحمد لله رب العالمين